



لا يمكن أحداً أن يتصور انفكاك الروابط بين المملكة العربية السعودية ولبنان. ارتصاصها البلدان في مختلف الأطر وال المجالات، وحافظاً عليها، السعودية لأنها مفظورة على رعاية العرب والمسلمين، ولبنان لأنه بلد صغير كان وسيبقى في حاجة إلى رعاية. وفي ما يخصّ لبنان تحديداً كان ولا يزال صحيحاً أن السعودية لم تميّز بين الطوائف.

والأهم أنها انحازت دائماً إلى الدولة، وانبرت دائماً للوساطات الطيبة، لم تستثمر يوماً في الانقسامات والخلافات، ولم تنشأ أبداً أن يكون لها دور يشعل الواقعة بين اللبنانيين، وعندما تبادر تكون مساعدتها حاسمة في رأب الصدع ولام الجروح وإعادة بناء ما تدمّر بفعل عدوان خارجي أو افتثال داخلي. لا شيء بل لأنها تؤثر السلم والاستقرار في ربوع العرب، مقدار ما تريده في ربوعها.

هفوة، غلطة، حماقة، تحدّ محسوب، أو هذه كلّها مجتمعة، أدت أخيراً بالمملكة إلى أن تدق على الطاولة وتقول كفى. نعم، هي أكثر من «جمعية خيرية»، لكنها أعطت بلا حساب ولم تطلب شيئاً في المقابل، ومثلها فعلت دول مجلس التعاون الخليجي كافة، وإن بقيت هي السابقة بأشواط، وسكتت على استفزازات السفهاء، أما أن يعجز لبنان، أو بالأحرى أحد وزرائه، عن أن يتخذ الموقف المناسب في الوقت المناسب، فهذا يراكم الجحود على الغباء.

فالصبيانية خصوصاً في السياسة الخارجية هي المسار المباشر إلى التهور، ومن لا يعرف مصلحة بلده وشعبه مشكوك أصلاً في أن يكون مؤهلاً لحقيقة وزارية.

الخارجية اللبنانية عرفت شخصيات محترمة ومشهود لها، بينها سليم تقلّا وحميد فرنجية وشارل مالك وفيليب تقلّا وفؤاد بطرس، وكان هؤلاء موضع ارتياح وافتخار في تمثيلهم لبنان واللبنانيين، ومبعد إعجاب لنظرائهم العرب وغير العرب. لكن الوزارة لا تنفك تشهد هيوبتاً مخزياً لمستوى الذين تولوها، مع بعض الاستثناء، والأكيد أنها تشهد منذ فرض عليها جبران باسيل حال الانحطاط الأكثر فداحة في تاريخها.

أما الأسوأ من مواقفه الفئوية التي تُملّى عليه من أقبية «حزب الله» فهي تبريراته لها حتى أنه كلّما فتح فمه يتيقن الجميع بأنه سينطق كفراً.

في العاصم غير العربية لم يجد الدبلوماسيون الذين التقوا صعوبة في التقط كونه «سفيراً لحزب الله» وليس وزيراً لبنانياً. ومنهم من أراد أن يعرف أكثر فجاءه الجواب بأن باسيل هو أبرز صانعي التحالف بين عمه زعيم «التيار الوطني الحر» العماد ميشال عون والأمين العام لـ «حزب الله» حسن نصرالله.

ويختلف عون عن زوج ابنته بأن لديه زعامة حقيقة وشعبية واسعة لدى مسيحيي لبنان ولا فضل فيهما لـ «حزب الله» لأن هذا «الحزب» عرف كيف يُفرق عون في أجنته، مستعيناً بباسيل. أما الأخير فلا شعبية له ولن يست لديه خامة زعيم ولا يعول إلا على تماهيه مع «حزب الله». قد يصلح لنقل الرسائل بين عون ونصرالله، لكنه بالتأكيد لا يصلح وزيراً يمثل لبنان واللبنانيين. فعلى رغم الأزمة/ الخطيئة التي ارتكبها في حق المملكة العربية السعودية، الصديق الأكبر للبنان، لم يبدُ أنه فهم شيئاً. لعله اكتفى بتهنئة نصرالله واستحسان إيران، لكن هذا لن يصله إلى أي مكان.

لا بد من فرمدة هذا الوزير قبل أن يرمي بلبنان وسمعته عند أقدام الملاي. نعم، هو مجرد أداة رئيسية في يد إيران وحزبها، اللذين يستغلان مسيحيته ويوظفان انتهازيته ويؤجحان أحقاده ويرتاحان خصوصاً إلى عنصريته ضد العرب. فهذه مواصفات لم يجدها «حزب الله» لدى جميع العونيين وأشياهم ممن يعملون في خدمة مشروع «الوصاية الإيرانية»، الذي لم يعد هناك أي شك في أهدافه: الهيمنة الفارسية على لبنان والمساومة على جغرافيتها ووحدة أرضه في سياق أي مساومة على سوريا ووحدتها.

كما لم يعد هناك أي غموض في أن نصرالله وحزبه استخدما «سلاح المقاومة» والتحالف مع «التيار العوني» لترهيب اللبنانيين وإحباط أي محاولة لتعزيز الاستقلال الوطني وإنهاض الدولة وتهبيش الجيش وتعطيل الحكومة والمؤسسات... أي، وفقاً للتصرير السعودي، «مصادرة ما يسمى «حزب الله» لإرادة الدولة». بل كذلك استخدام الصراع السوري وانتظار مآلاته لفرض الشغور في منصب الرئاسة اللبنانية، وتخير الشركاء في الوطن بين إدامه هذا الشغور وبين الرضوخ لنزوات «حزب الله» وشروطه لتغيير صيغة النظام بغية إدامة «الوصاية» والهيمنة» و«المصادرة» إذ لا مستقبل لإيران وحزبها في لبنان إلا بأدوات بهذه سبق أن جُربت وكانت عوّاقبها وخيمة خصوصاً على أصحابها.

كثيرون تخوّفوا من أن الإجراءات السعودية، تحديداً تجميد المساعدة للجيش وقوى الأمن، تضرّ بمؤيدي المملكة أكثر مما تردع المناوئين لها الذين بلغوا حدّاً مرّقاً من اللاوطنية، بل من الجحود واللألاقافية حين تجاهلوا عام 2006 أن السعودية كانت صاحبة المساهمة الأكبر في إعادة إعمار مناطقهم التي دمرها العدوان الإسرائيلي، وهي تصرفت بما اعتبرته واجباً عربياً وليس ابتعاء مصلحةٍ ما. لكن من الواضح أن الرياض لم تهتمّ بمن معها ومن ضدها مقدار ما أرادت طرح الصوت: هل من دولة هناك؟ فلا السعودية ولا أي دولة أخرى تعتبر «حزب الله» شيئاً آخر غير أنه مليشيا مسلحة، ولن يحصل أن تعامل معه على أنه الدولة، حتى لو كان سلاحه جعل منه «دويلة» متسلطة على الدولة، ولن يكون هناك اعتراف بإيران «دولة وصاية» ولا حتى بحكم الأمر الواقع، فالعالم المتهافت على إيران بحثاً عن صفقات بزننية لا يجهل اختراقاتها هنا وهناك لكنه يعرف أيضاً أنها لا تجيد سوى التخريب، بشهادة سوريا والعراق.

عندما حرص مجلس الوزراء السعودي على تأكيد وقوف الرياض إلى جانب الشعب اللبناني وتقديره مواقف مسؤولين وشخصيات لبنانية تبرأت من موقف «وزير حزب الله»، فإنه أراد على الأرجح أن يدعو اللبنانيين إلى الوقوف إلى جانب أنفسهم، إلى جانب مصلحة بلادهم، لأن لبنان يواجه تهديداً كيانياً وجودياً من دون أن يبدو أن اللبنانيين واعون جداً أخطاره التي تفوق بكثير استياء السعودية من مواقف وزير لن تقدم أو تؤخر في حزمها وتصنيمتها الاستراتيجيين.

والمؤكّد أن ظروف المواجهة مع إيران، التي تتولّ فيها المملكة الخط الأمامي، بكلفة بشرية خليجية غير مسبوقة، حرّكت

الرأي العام الخليجي العربي ولم تعد تسمح بالسکوت على أي إساءة إيرانية خصوصاً إذا جاءت في مجلس الجامعة العربية أو منظمة التعاون الإسلامي بلسان وزير «عربي»!

ثم هناك الأهم، وهو أن كل التقارير المختصة أفادت بأن الدولة المغيبة ستجعل المساعدة السعودية في خدمة «حزب الله» وإرهابه بدل أن تعزّز دورها الجيش وقوى الأمن، ولا عذر لهما أو للحكومة والطبقة السياسية في ذلك.

كل الدول التي ترغب في تقوية الجيش تصطدم بواقع اختراقات «حزب الله» لألويته واستحالة تغلبه على هذه العاهة التي يتحمل السياسيون أيضاً جانباً من المسؤولية عنها. وكل الدول التي ساعدت قوى الأمن شاهدت بكثير من الهواجس كيف أن هذا «الحزب» يعمل على تعطيلها والتقليل من دورها في مكافحة الإرهاب، لمجرد أنه لم يتمكن من اختراقها أو مصادرة فاعليتها. فقوى الأمن تعمل من أجل الدولة و«الحزب» يعمل ضد الدولة، وضد الأمن الوطني والسلم الأهلي، بدليل حمايته لميشال سماحة إلى حد الضغط على القضاء العسكري للإفراج عن هذا الوزير السابق الذي صار مجرماً ينفل متفرّقات من دمشق لضرب شخصيات لبنانية معادية للنظام السوري.

لا شيء في الغضب السعودي يمكن أن يُغبط إيران وحزبها «اللبناني»، فهما لن يستطيعا تعويض المساعدة المجمدة التي يمكن أن تتجدد حين تغير الظروف. كان هذا الغضب موقف دولة صديقة تريد للبنانيين أن ينهضوا من استسلامهم لإرهاب هذا «الحزب». وآخر ما تبحث عنه الرياض هو أن يقتل اللبنانيون لكنها تراهن على يقظة إرادتهم، فإيران وأتباعها يمكن أن يتجرّوا ويعربدوا لكنهم لن يستطيعوا إخضاع كل مكونات المجتمع اللبناني.

الحياة اللندنية

المصادر: